حَيَّ بن يقظان
عند ابن سينا

obeikandl.com

مقدمة المؤلف[*]

والرسالة الأولى

ومـا توفيقـى إلا بالله وإليـه أنيب «وبعد فإن إصراركم معشـر إخوانى على اقتضاء شـرح قصـة حَىّ بن يقظان هزم لجاجى فى الامتناع وحـل عقد عزمى فى المماطلة والدفاع فانقدت لمساعدتكم – وبالله التوفيق»

إنـه قد تيسـرت لى حين مقامى[1] ببلادى (برزة)، برفقائـى إلى بعض المتنزهات[2] المكتنفة لتلك البقعة فبينا نحن نتطاوف إذ عن لنا شيخ بهى قد أوغل فى السن وأخنت عليه السنون وهو فى طراءة العز[3] لم يهن منه عظم ولا تضعضع له ركن وما عليه من المشـيب إلا رواء من يشـيب –فنزعـت إلى مخاطبتـه وانبعثت من ذات نفسـى لمداخلته ومجاورتـه[4]، فملت[5] برفقائـى إليـه فلما دنونا منـه بدأنا هو بالتحية والسـلام وافتر عن لهجـة مقبولة وتنازعنا الحديث حتى أفضى بنا إلى مسـاءلته عن كنه أحواله واسـتعلامه سـنه وصناعته بل اسمه ونسـبه وبلده فقال أما اسمى ونسـبى فحَىّ بـن يقظان وأما بلدى فمدينـة بيت المقدس وأما حرفتى فالسـياحة فى أقطـار العوالم حتى أحطت بها خبرًا ووجهـى إلى أبى وهو حَىّ وقد عطـوت منـه مفاتيـح العلوم كلها فهدانـى الطريق السـالكة إلى نواحى العـالم حتى زويت بسياحتى آفاق الأقاليم، فمازلنا نطارحه المسائل فى العلوم ونستفهمه غوامضها حتى تخلصنا إلى علم الفراسـة فرأيت من إصابته فيه ما قضيت له آخر العجب وذلك أنه ابتداء لما انتهينا إلى خبرها فقال: «إن علم الفراسـة لمن العلوم التى تنقد عائدتها نقدًا فيعلن ما يسـره كل من سـجيته فيكـون تبسـطك إليه وتقلصك عنه بحسـبه وأن الفراسـة لتدل منـك على عفو من الخلائـق ومنتقـش من الطين وموات من الطبائع[6] وإذا مسـتك[7] يد الإصـلاح أتقنتك، وإن خرطك العار فى سـلك الذلة انخرطت وحولك هؤلاء الذين لا يبرحون عنك[8] إنهم لرفقة سوء

(*) ابن سينا.

(١) ابـن سـينا حين مقامى بتلك البقعة، أى وقت إقامتى، وبـلاده هى بدنه وأعضاؤه التى هى محل قواه ويريد ببرزة النهضة والتيقظ إلى أن وراء حياة البدن والأعضاء حياة روحية أخرى.

(٢) المتنزهات: هى الأمور البعيدة عن الأحوال التى كان فيها من قبل، ويريد بها المعقولات.

(٣) أى لم يغيره الزمن بل حاله ثابت دائم لا يتغير كما يتغير الجسم

(٤) يلاحظ القارئ أن تعبيراته تعبيرات أعجمية غامضة لا كما هو الشأن عند ابن طفيل. ومقاصد أى بواعث.

(٥) أى لم عرفت المناسبة التى بين العقل وبين الغرائز.

(٦) أشـار بذلك إلى ما يحصل للإنسـان بقوة علم الفراسة الذى يريد به علم المنطق من تمييز بين الصدق والكذب والحق والباطل. وإلى ما جبل عليه الإنسان من استعداد للعلوم والمعارف.

(٧) «وإذا مسـتك يد إلخ» أشـار به إلى أنه مع ذلك مسـتعد للرذائل وأنه يصير إلى الفضائل أو الرذائل بمقتضى الدواعى من العادات والأفعال.

(٨) أشار به إلى القوى البدنية التى لا تفارق القوة العقلية.

ولن تكاد تسلم عنهم وسيفتنونك أو تكتنفك عصمة وافرة وأما هذا الذى أمامك فباهت مهذار يلفق[1] الباطل تلفيقًا ويختلق الزور اختلاقًا ويأتيك بأنباء مالم تزوده قد درن[2] حقها بالباطل وضرب صدقها بالكذب على أنه هو عينك وطليعك ومن سبيله أن يأتيك بخبر ما غرب عن جنابك وعزب من مقامك وأنك لمبتلى بانتقاد حق ذلك من باطله والتقاط صدقه من زوره واستخلاص صوابه من غواشى خطئه، إذ لابد لك منه فربما أخذ التوفيق بيدك ورفعك عن محيط الضلالة وربما أوقفك التحير وربما غرك شاهد الزور وهذا الذى عن يمينك[3] أهوج، إذا انزعج هائجه لم يقمعه النصح ولم يطأطئه الرفق كأنه نار فى حطب، أو سيل فى صبب أو قرم مغتلم أو سبع ثائر وهذا الذى عن يسارك فقذر[4] شره قرم شبق لا يملأبطنه إلا التراب، ولا يسد غرثه إلا الرغام، لعقة لحسه طعمة حرصة كأنه خنزير أجيع ثم أرسل فى الجلة ولقد ألصقت يا مسكين بهؤلاء إلصاقًا لا يبريك عنهم إلا غربة تأخذك إلى بلاد لم يطأها أمثالهم[5] وإذ لات حين تلك الغربة ولا محيص لك عنهم فلتطلهم يدك وليغلبهم سلطانك، وإياك أن تقبضهم زمامك أو تسهل لهم قيادك بل استظهر عليهم بحسن الإيالة وسمهم سوم الاعتدال فإنك إن متنت لهم سخرتهم ولم يسخروك، وركبتهم ولم يركبوك، ومن توافق حيلك فيهم أن تتسلط بهذا الشكس الزعر على هذا الأرعن النهم تزبره زبرًا فتكسره كسرًا وأن تستدرج غلواء هذا التائه العسر بخلابة هذا الأرعن الملق فتخفضه خفضًا، وأما هذا المومه[6] المتحرص فلا تحتج إليه أو يأتيك موثقًا من الله غليظاً فهنا لك صدقة تصديقاً ولا تجحم عن إصاخة إليه لما ينهيه إليك وإن خلط فإنك لن تعدم من أنبائه ما هو جدير باستثباته وتحققه به، فلما وصف لى هؤلاء الرفقة وجدت قبولى مبادرًا إلى تصديق ما قرفهم به فلما استأنفت فى امتحانهم طريقة المعتبر صحح المختبر منهم الخبر عنهم، وأنا فى مزاولتهم ومقاساتهم فتارة لى اليد عليها وتارة لها على والله تعالى المستعان على حسن مجاورته هذه الرفقة إلى حين الفرقة -ثم إنى استهديت[7] هذا الشيخ سبيل السياحة استهداء حريص عليها مشوق إليها فقال إنك ومن هو يسبيلك من مثل سياحتى لمصدود وسبيله عليك

---

(١) أشار به إلى قوة التخيل، وأشار بقوله «يلفق الباطل» إلى أن من طبيعة هذه القوة أنها دائماً تحاول أن تشبه الشيء بالشيء من دون أن تكون علاقة قوية بينهما.

(٢) لعلها درأ.

(٣) إشارة إلى القوة الغضبية وأنها أقوى من القوة الشهوانية التى وصفها بأنها على اليسار.

(٤) الفاء زائدة لسوء التعبير.

(٥) أراد بذلك ما عليه قوته العقلية من ملازمة هذه القوى الأخرى لها، وضرورة مجاورتها إياداً ولا مخلص للعقل ولا منجى، ما دام مع البدن.

(٦) أشار به إلى الطريق الذى يجب أن يسلك فى تدبير القوة المتخيلة للوصول إلى السلامة. وذلك كأن لا يثق بها كل الثقة، ويميز صدقها من كذبها، وباطلها من حقها.

(٧) استهديت، أى لما وجدت العقل على هذا الكمال، وأنه منبع العلوم والمعارف، حرصت على سلوك سبيله، واقتباس العلم منه، ففزعت إليه ليهدينى السبيل السوى.

وعليه لمسـدود[1] أو يسـعدك التفرد وله موعد مضرب لن تسبقه فاقنع بسياحة مدخولة بإقامة تسـيح حينًا وتخالط هؤلاء حينًا فمتى تجردت للسـياحة بكنه نشاطك وافقتك وقطعتهم وإذا حننـت نحوهـم انقلبت إليهم وقطعتنـى حتى يأتى لـك أن تتولى براءتك منهـم فرجع بنا الحديـث إلى مسـاءلته عن إقليم إقليـم مما أحاط بعلمه ووقف عليه خـبره فقال لى إن حدود الأرض ثلاثـة –حد يحده الخافقـان[2] وقد أدرك كنهه وترامت به الأخبار الجلية المتواترة – والغريبـة يجل ما يحتوى عليه وحدان[3] غريبان– حد المغرب وحد قبل المشـرق ولكل واحد منهمـا صقـع قد ضرب بينهما وبين عالم البشـر حد محجور لن يعـدوه[4] إلا الخواص منهم المكتسـبون منة لم يتأت للبشر بالفطرة[5] ومما يفيدها الاغتسال فى عين خرارة فى جوار عين الحيوان الراكدة إذا هدى إليها السـايح فتطهر بها وشـرب من فراتها سرت فى جوارحه منة مبتدعـة يقوى بها على قطع تلك المهام ولم يترسـب فى البحر المحيط ولم يكأده جبل قاف ولم تدهده الزبانية مدهدهة إلى الهاوية فاسـتزدناه شـرح هذه العين فقال سـيكون قد بلغكم حال الظلمات المقيمة بناحية القطب فلا يسـتطيع عليها الشـارق فى كل سـنة إلى مسمى أنه من خاضها ولم يحجم عنها أفضى إلى فضاء غير محدود قد شـحن نورًا فيعرض له أول شـىء عـين حرارة تمد نهرًا على البرزخ[6] من أغتسـل منها خف على المـاء فلم يرجحن إلى الغرق وتقمم لك الشـواهق غير منصب حتى تتلخص[7] إلى أحد الحدين المنقطع عنهما، فاستخبرناه عـن الحد الغربى لمصاقبة بلادنا إياه فقـال إن بأقصى المغرب بحرًا كبيرًا حامئًا قد سمى فى الكتاب الإلهى عينًا حامئة[8] وإن الشـمس تغرب مـن تلقائها وممد هذا البحر من إقليم غامر فـات التحديد رحبـه لا عمار له إلا غرباء يطرؤون عليه والظلمـة معتكفة على أديمه[9] وإنما ينمحل المهاجرون إليه لمعة[10] نور مهما جنحت الشـمس للوجوب وأرضه سـبخة كلما أهلت بعمار نبت لهم فابتنى بها آخرون، يعمرون فينهار ويبنون فينهال وقد أقام الشجار بين أهله

(١) أراد اسـتحالة التعقل الخالص من شـوب التخيل والحس، ولا يزال هذا دأبه وديدنه إلى أن يدركه الموت، وتفارق النفس البدن.

(٢) «حد يحده الخافقان» هو عالم المركبات المحسوسة فى عالمى الأرض والسماء. وهى التى يحيط بها الخافقان. وحدان.

(٣) الحدان هما الهيولى والصورة. فالتى وراء المغرب الهيولى، والتى من قبل المشرق الصورة.

(٤) أى لكل من الهيولى والصورة كنه وحقيقة قد ضرب بينهما وبين عالم البشر بسور.

(٥) يريد علم المنطق.

(٦) أى يصير مددًا للعقل الهيولانى المستعد للمعارف.

(٧) أى بلغ من علم المنطق درجة بحيث يطلع على الحقائق من غير تعب ولا نصب.

(٨) أشار بها إلى الهيولى. وغروب الشمس فيها نصيب الصورة منها وملابستها إياها.

(٩) أى أنه من إقليم واسـع مشـتمل على أصناف من الكائنات من العناصر. والصورة طارئة عليها من موضع بعيد عن موطن الهيولى. إذ من حق الهيولى أن تكون بلا صورة. فهناك تكون الظلمة مسـتولية، والصورة نور من واهبها، وبواسطتها تزول الظلمة عن الهيولى المجردة.

(١٠) لمعة، أى أن الكائنات الفاسدة استحدث نورها من صورها المستفادة عند أفول الصورة فى هيولاها.

بل القتال فأينما طائفة عزت استولت على عقر ديار الآخرين وفرضت عليهم الجلاء تبتغى قراراً، فلا يستخلص إلا خساراً[1] وهذا ديدنهم[2] لا يفترون وقد تطوق هذا الإقليم كل حيوان ونبات لكنها إذا استقرت به ورعته وشربت من مائة غشيته غواش غريبة من صورها[3] فترى الإنسان فيها قد جلله مسك بهيمة ونبت عليه أثيث من العشب وكذلك حال كل جنس آخر فهذا إقليم خراب سبخ مشحون بالفتن والهيج والخصام والهرج يستعير البهجة من مكان بعيد وبين هذا الإقليم وإقليمكم أقاليم أخرى[4] لكن وراء هذا الإقليم مما يلى محط أركان السماء إقليم شبيه به فى أمور [5] منها أنه صفصف غير آهل إلا من غرباء واغلين ومنهاأنه يسترق النور من شعب غريب وإن كان أقرب إلى كوة النور من المذكور قبله ومن ذلك أنه مرسى قواعد السماويات كما أن الذى قبله مرسى قواعد هذه الأرض ومستقر لها لكن العمارة فى هذا الإقليم مستقرة لا مغاصبة بين وارديها للمحاط ولكل أمة صقع محدود لا يظهر عليهم غيرهم[6] غلابا فأقرب معامره منا بقعة سكانها أمة صغار الجثث حثاث الحركات ومدنها ثمان[7] مدن ويتلوها مملكة أهلها أصغر جثثًا من هؤلاء وأثقل حركات يلهجون بالكتابة والنجوم والنيرنجات والطلسمات والصنائع الدقيقة والأعمال العميقة مدنها[8] تسع ويتلوها وراءها مملكة أهلها متمتعون بالصباحة مولعون بالقصف والطرب مبرأون من الغموم لطاف لتعاطى المزاهر مستكثرون من ألوانها تقوم عليها امرأة قد طبعوا على الإحساس والخير فإذا ذكر الشر اشمأزوا عنه ومدنها ثمانى مدن[9]. ويتلوها مملكة قد زيد لسكانها بسطة فى الجسم وروعة فى الحسن ومن خصالهم أن مفارقتهم من بعيد عزيزة الجدوى ومقاربتهم مؤذية ومدنها خمس مدن[10]. ويتلوها مملكة تأوى إليها أمة يفسدون فى الأرض حبب إليهم الفتك والسفك والاغتيال والمثل مع طرب ولهو يملكهم أشقر مغرى بالنكب والقتل والضرب وقد فتن كما يزعم رواة أخبارها بالملكة الحسنى المذكور أمرها قد شغفته حبًا ومدنها سبع مدن[11]

---

(١) أى إن هذه الأحوال طبيعة فى هذه الكائنات الفاسدة.

(٢) أى أعراض تلزمها السبب الهيولى.

(٣) أى أن الصورة الإنسانية إذا حصلت فى المادة اقترنت بها أعراض غريبة، ولا يختص بشكل دون شكل، ولا قدر دون قدر، ولا وضع دون وضع.

(٤) يريد بالأقاليم الأخرى الأنواع المعدنية والنباتية والحيوانية. وبإقليمكم النوع الإنسانى.

(٥) أراد بها الأجرام السماوية التى أقربها إلينا فلك القمر. وهو أولها. وآخرها الفلك التاسع وفوقه إقليم آخر وهو علة العلل وهو الله تعالى وطبيعته مباينة لطبيعة الكون والفساد.

(٦) أى صورها صور لا تفارقها ولا تتبدل بأضدادها. وهذا شأن عالم الكون والفساد.

(٧) أشارة بذلك إلى فلك القمر. وعنى بسكانها القمر نفسه. ووصفه بصغر الجثة، إذ كان حجمه أصغر من حجم الأرض

(٨) يشير به إلى فلك عطارد. ووصفه بالكتابة والنجوم والطلسمات إلخ على مذهب أصحاب النجوم، واعتقادهم دلالة عطارد على هذه الأمور.

(٩) أشار به إلى فلك الزهرى، ووصفت بهذه الأوصاف على مذهب أصحاب النجوم.

(١٠) يشير به إلى فلك الشمس، ووصف الشمس بأنها أوتيت بسطة فى الجسم لأنها عظيمة المقدار مع دون غيرها.

(١١) ذلك فلك المريخ، وهذه الصفات صفاته كما يزعم المنجمون.

ويتلوهـا مملكة عظيمة أهلها غالون فى العفة والعدالة والحكمة والتقوى وتجهيز جهاز الخير إلى كل قطـر واعتقاد الشـفقة علـى كل من دنا وبعد وبذل المعروف إلى مـن علم وجهل. وقد جسـم حظهـم من الجمال والبهاء ومدنها سـبع مـدن[1] ويتلوها مملكة كبيرة يسـكنها أمة غامضة الفكر مولعة بالشـر فـإن جنحت للإصلاح أتت نهاية التأكيـد وإذا وقعت بطائفة لم تطرقها طروق متهور بل توختها بسـيرة الداهى المنكر لا تعجل فيما لا تعتمد غير الأناة فيما تأتـى وتذر ومدنها سـبع مدن[2] ويتلوها مملكة كبيرة منتزحـة الأقطار[3] كثيرة العمار بقعة لا يتمدنـون إنمـا قرارهم قاع صفصف مفصول باثنى عشـر حدًّا فيها ثمانية وعشـرون محطًّا لا تعرج طبقة منهم إلى محط طبقة إلا إذا خلا من أمامها عن دورهم فسار عنه إلى خلافها[4] وإن أمم الممالك التى قبلها لتسافر إليها وتردد فيها ويليها مملكة لم يدرك أفقها إلى هذا الزمان لا مـدن فيها ولا كـور ولا يأوى إليها من يدركـه البصر[5] وعمارها الروحانيـون من الملائكة لا ينزلهـا البشـر ومنها ينزل على من يليها الأمر والقدر وليـس وراءها من الأرض معمور فهذان الإقليمـان بهمـا يتصل الأرضون والسـماوات ذات اليسـار من العالم التى هـى المغرب فإذا توجهت منها تلقاء المشـرق رفع لك إقليم لا يعمره بشـر بل ولا نجم ولا شـجر ولا حجر إنما هـو بر رحب ويم غمر[6] ورياح محبوسـة ونار مشـبوبة وتجوزه إلى إقليـم تلقاءك فيه جبال رأسـية وأنهار ورياح مرسـلة وغيـوم هاطلة وتجد فيهـا العقبان واللجـين والجواهر الثمينة والوضيعة أجناسـها وأنواعها إلا أنه لا نابت فيه ويؤديك عبوره إلى إقليم مشـحون بما خلا ذكره إلى ما فيه من أصناف النبات نجمة وشجرة مثمرة وغير مثمرة محبة ومبرزة لا تجد فيه من يضىء ويصفز من الحيوان وتتعداه إلى إقليم يجتمع لك ما سلف ذكره إلى أنواع الحيوانات العجم سـابحها وزاحفها ودارجها ومدومهـا ومتولداتها إلا أنه لا أنيس فيه وتخلص عنه إلى عالمكم هذا وقد دللتم على ما يشـتمله عيانًا وسماعًا فإذا قطعت سمت المشـرق وجدت الشمس تطلع بين قرنى الشـيطان فإن للشـيطان قرنين قرن يطير وقرن يسـير[7] والأمة السيارة منها

---

(١) وذلك فلك المشترى.

(٢) وذلك فلك زحل.

(٣) أى فضاء واحد مستو غير منقسم إلى بقاع مختلفة.

(٤) أشـار بهذا إلى منطقة هذا الفلك التى تسـمى فلك البروج، وقد قسموه إلى أثنى عشر قسمًا سمى كل قسم منها باسـم، وهى الحمل والثور، والجوزاء والسـرطان، والأسـد والسـنبلة، والميزان والعقرب، والقوس والجدى، والدلو والحـوت. وجعلهـا محطا إذ كان مقدار سـير كل منها بقدر لا يتعداه. وأبعاد ما بينها ثابتة لا تتغير ﴿لا الشـمس ينبغى لها أن تدرك القمر، ولا الليل سابق النهار﴾ سورة يس آية ٤٠.

(٥) أشار به إلى الفلك التاسع، ويقولون إنه لا يعرف مقداره، لخلوه من الكواكب.

(٦) يشير إلى الفلك العاشر الذى هو علة العلل وهو الذى له الأمر المطلق، وقدره ينزل إلى سائر الموجودات. ويشير بما يأتى إلى فناء الأجسام عنده، لإخلاء ولإملاء. بل عنده تنقطع الأجسام. وسطحه ينتهى إلى لا شىء. وهذا النظام هو الذى كانت تجرى عليه فلسفة اليونان وفلسفة العصور الوسطى كلها.

(٧) أراد بالقرن الذى يطير القوى المدركة فى الإنسان. والقرن الذى يسير القوى المحركة له. وشبه الإدراك بالطيران=

قبيلتان قبيلة فى خلق السباع وقبيلة فى خلق البهائم[1] وبينهما شجار قائم
اليسار من المشرق وأما الشياطين التى تطير فإن نواحيها ذات اليمين من
فى جنس من الخلق بل يكاد يختص كل شخص منها بصيغة نادرة فر
خلقين أو ثلاثة أو أربعة كإنسان يطير وأفعوان له رأس خنزير ومنها خلق
مثل شخص هو نصف إنسان وشخص هو فرد رجل إنسان وشخص وهو
ذلك من الحيوان ولا يبعد أن يكون التماثيل المختلطة التى يرقمها المصور
الإقليم والذى يغلب[3] على أمر هذا الأقليم قد رتب سككا خمسًا للبريد[4] ج
لمملكته فهناك يختطف من يستهوى من سكان هذا العالم ويستثبت
ويسلم من يستهوى إلى قيم على الخمسة مرصد بباب الإقليم ومعهم الأنبا
مختوم لا يطلع عليه القيم إنما له وعليه أن يوصل جمعيه إلى خازن يعرضه
الأسرى فيتكلفهم هذا الخازن وأما آلاتها فيستحفظها خازنا[6] آخر وكلما
أصنافًا من الناس والحيوان وغيره تناسلوا على صورهم مزاجًا منها وإخراجً
القرنين من يسافر إلى إقليمكم هذا فيغشى الناس فى الأنفاس حتى تخلص
القلوب فأما القرن الذى فى صورة السباع من القرنين السيارين فإنه يتربص
أذى معتبًا عليه فيسفره ويزين له سوء العمل من القتل والمثل والإيحاش و
فى النفس ويبعث على الظلم والغشم[7] وأما القرن الآخر منهما فلا يزال يذ
بتحسين الفحشاء من الفعل والمنكر من العمل والفجور إليه وتشويقه إليه
ركب ظهر اللجاج واعتمد على الإلحاح حتى يجره إليه جرًا[8] وأما القرن
له التكذيب بما لا يرى ويصور لديه حسن العبادة للمطبوع والمصنوع وبسا
لا نشأة أخرى ولا عاقبة للسوى والحسنى ولا قيوم على الملكوت[9] وإن
تصاقب حدود إقليم وراء إقليمكم تعمره الملائكة الأرضية تهدى بهدى الملائ

=لشدة حركته والوصول بها الأشياء البعيدة. وشبه المحركة بالسير لبطئها، والوصول بها أو
(١) يشير بهما إلى القوة الغضبية والقوة الشهوانية.
(٢) هذه هى القوة المتخيلة.
(٣) أراد به النفس الإنسانية.
(٤) هى الحواس الخمس.
(٥) أردا بالملك النفس الإنسانية. وعنى بقوله «ويستثبت الأخبار» معرفة المعانى غير المد
الحس المشترك.
(٦) الصواب خازن، ويشير بالخازن الآخر إلى القوة الوهمية. وأراد بقوله «وكلما استأثر
والتركيب والتفصيل على حسب ما كان معروفًا فى القديم من علم النفس.
(٧) يشير به إلى القوة الغضبية التى فى خلق السباع.
(٨) أى أن القوة الشهونية تستولى على النفس، وتبعثها على العمل الشهوانى.
(٩) يشير بهذا إلى القوة المتخيلة.

غواية المردة وتقيدت سير الطيبين من الروحانيين فأولئك إذا خالطوا الناس لم يبعثوا بهم ولا يضلوهم ويحسن مظاهرتهم على تطهير وهى جن وحن[1] ومن حصل وراء هذا الإقليم وغل فى أقليم الملائكة فالمتصل منها بالأرض إقليم سكنته الملائكة الأرضيون وإذا هم طبقات طبقة ذات اليمنة وهى علامة أمارة وطبقة تحاذيها ذات اليسرة وهى مؤتمرة عمالة والطبقتان تهبطان إلى أقليم الجن والإنس هويا وتمعنان فى السماء رقيًا ويقال إن الحفظة الكرام والكاتبين منهما[2] وإن القاعد مرصد اليمين من الأمارة وإليه الإملاء[3] والقاعد مرصد اليسار من العمالة وإليه الكتاب[4] ومن وجد له إلى عبور هذا الإقليم سبيل خلص إلى ما وراء السماء خلوصًا فلمح ذرية الخلق الأقدام ولهم ملك واحد مطاع فأول حدوده معمور بخدم لملكهم الأعظم عاكفين على العمل المقرب إليه زلفى[5] وهم أمة بررة لا تجيب داعية أو قرم أو غلمة أو ظلم أو حسد أو كسل قد وكلوا بعمارة ربض هذه المملكة ووقفوا عليه وهم حاضرة متمدنون يأوون إلى قصور مشيدة وأبنية سرية تنوف فى عجن طينتها حتى انعجن مالا يشاكل طينة إقليمكم[6] وإنه لأجلد من الزجاج والياقوت وسائر ما يستبطأ أمد بلائه وقد أملى لهم فى أعمارهم وأنسىء فى آجالهم فلا يحرمون دون أبعد الآماد ووتيرتهم عمارة الربض طائعين وبعد هؤلاء أمة أشد اختلاطًا بملكهم مصرون على خدمة المجلس بالمثول وقد صئنوا فلم يتبدلوا بالاعتمال[7] واستخلصوا للقربى ومكنوا من رموق المجلس الأعلى والحفوف حوله ومتعوا بالنظر إلى وجه الملك وصالا لا فصال فيه وحلوا تحلية اللطف فى الشمائل والحسن والثقافة فى الأذهان والنهاية فى الإشارات والرواء الباهر والحسن الرائع والهيئة البالغة وضرب لكل واحد منهم حد محدود ومقام معلوم ودرجة مفروضة لا ينازع فيها ولا يشارك فكل من عداه يرتفع عنه أو يسمح نفسًا بالقصور دونه وأدناهم منزلة من الملك واحد هو أبوهم وهم أولاده وحفدته[8] وعنه يصدر إليهم خطاب الملك ومرسومه ومن غرائب أحوالهم أن طبائعهم لا تستعجل بهم إلى الشيب والهرم وأن الوالد منهم وإن كان أقدم مدة فهو أسبغ منه وأشد بهجة وكلهم مسخرون قد كفوا الاكتفاء والملك أبعدهم فى ذلك مذهبًا ومن عزاه إلى

---

(١) أراد بالجن القوة المتعلقة من الحواس.

(٢) أرد به النفوس الناطقة الإنسانية. أى إذا تجاوزت بنظرك رتبة هذه القوى البدنية انتهيت فى النظر إلى رؤية الملائكة.

(٣) أراد بالحفظة والكرام الكاتبين قوة العقل من قوله تعالى ﴿وإن عليكم لحافظين، كرامًا كاتبين، يعلمون ما تفعلون﴾ سورة الانفطار آية ١٠، ١١، ١٢. وذلك لأن العقل هو الذى يحفظ الإنسان ويدبر أمره.

(٤) فى الإنسان قوتان، قوة علمية، وقوة عملية وقد جعل العلمية ذات اليمن لشرفها، وفضلها على الأخرى العملية.

(٥) أشار به إلى النفوس الفلكية، فإنها تشرف بالقرب من الله فى الاستكمال. وكانوا يعتقدون ذلك، وأنهم أمة بررة منزهة عن القوى الأرضية والغضبية والشهوانية.

(٦) أى ليست هى مجردة عن المادة كل التجريد، بل ملابسون لها على نوع من الملابسة، وقوله يأوون إلى قصور، هى صور الافلاك التى شبهها فى علوها وارتفاع محلها بالقصور المشيدة.

(٧) أشار به إلى العقول الفعالة المفارقة للمادة أصلا.

(٨) يريد به العقل الفعال الأول وهو المبدأ الأول. وسماه أبانهم إذ كان وجود ما سواه منه.

عــرق فقــد زل[1] ومن ضمن الوفاء بمدحه فقد هذى قد فــات قدر الوصاف عن وصفه وحادت عن ســبيله الأمثال فلا يســتطيع ضاربها إلا بتباين أعضاء بل كله لحسنه وجه ولجوده يد[2] يعفى حســنه آثار كل حســن ويحقر كرمه نفاســة كل كرم ومتى هم بتأمله أحد من الحافين حوله بساطة غض الدهش طرفه فآب حسيرًا يكاد بصره يُختطف قبل النظر إليه وكان حسنه حجاب حسنه وكان ظهوره سبب بطونه وكان تجليه سبب خفائه كالشمس لو انتقبت يسيرًا لاســتعلنت كثيرًا فلما أمعنت فى التجلى احتجبت وكان نورها حجاب نورها وإن هذا الملك لمطلــع على ذويه بهــاءه لا يضن عليهم بلقائه وإنما يوتون مــن دنوقواهم دون ملاحظته وإنه لســمح فياض واســع البرغمر النائل رحب الفناء عام العطاء من شــاهد أثرًا من جماله وقف عليــه لحظــة ولا يلفته عنه غمزة ولربمــا هاجر إليه أفراد من النــاس فيتلقاهم من فواضله ما ينوبهم ويشعرهم احتقار متاع إقليمكم هذا فإذا انقلبوا من عنده انقلبوا وهم مكرهون.

قال الشــيخ حَىَّ بن يقظان لولا تعزبى إليه بمخاطبتك منبهًا إياك لكان لى به شــاغل عنك وإن شئت اتبعتنى إليه والسلام.

تمت رسالة حَىَّ بن يقظان
بحمد الله ومنه
والصلاة على محمد خير خلقه
وعلى آله وأصحابه

(١) يشير بذلك إلى أن من انتسب إلى أصل من مادة أو صورة أو فاعل أو غاية فقد زاغ عن الحق.
(٢) أى أنه لا يتقسم على وجه من الوجوه لا معنى ولا مقدارًا، لأنه واحد من كل جهة.

obeikandl.com